AIJLLS |MARCH 2024 | VOL 8 ISSUE 17
مجلة اللسان الدولية / العدد السابع عشر (مارس 2024م/ 1445 هـ)
الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

الظواهر الأسلوبية في بعض مؤلفات علماء إلورن: الشيخ عبد الرحمن صلاح الدين (الإمام الملوي) أنموذجا

STYLISTICS FEATURES IN THE WORKS OF SOME ILORIN SCHOLARS: SHAYKH ABDURRAHMAN SALAHUD-DIN (THE IMAM IMALE) AS A CASE STUDY

إعداد

الدكتور موسى حسين محمّد البشير (أريكيؤسولا)

قسم اللغة العربية والدراسات الدولية، كلية الآداب،

جامعة إلورن، إلورن.

musa.hmb@unilorin.edu.ng

ملخص البحث: المقال الذي نحن بصدده يتغيا إلقاء بعض الأضواء على الأسلوب والأسلوبية وما لهذا المصطلح من المعاني اللغوية والاصطلاحية ثم عقد الفرق بينهما وبعد ذلك تسلطنا الضوء على حياة الشيخ عبد الرحمن صلاح الدين الإمام الملوي العاشر وتناولنا شخصية ذلك العلم الذي كان من أعلام إمارة إلورن وإبراز ما في مقالته من الظواهر الأسلوبية والملامح البلاغية والأنماط النحوية، عنونته بـ"الظواهر الأسلوبية في بعض مؤلفات علماء إلورن: الشيخ عبد الرحمن صلاح الدين (الإمام الملوي) أنموذجا" قصدا وإبرازا –لما للظواهر الأسلوبية– من مكانة مرموقة عالية خفاقة عند المحلّلين الأسلوبيّين والبنيويّين وسيرا على منهجهم في تناولهم للدراسات الأسلوبية البنيوية.

ABSTRACT: The article we are about to present aims to shed some light on style and stylistics and the linguistic and technical meanings of this term, then to establish the difference between them. After that, we focused on the life of Sheikh Abdul Rahman Salah Al-Din, the tenth Imam of Al-Malawi, and we dealt with the personality of that scholar who was one of the luminaries of the Emirate of Ilorin and highlighting what is in his article of stylistic phenomena, rhetorical features and grammatical patterns. I titled it "Stylistic Phenomena in Some Works of Ilorin Scholars: Sheikh Abdul Rahman Salah Al-Din (Imam Al-Malawi) as a Model" intentionally and to highlight – because of the high and prominent position of stylistic phenomena among stylistic and structural analysts and following their approach in dealing with structural stylistic studies.

الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

مقدمة

ظلت كلمة الأسلوب تتحول في استعمالات الغرب منذ عصر اليونان والرومان من معنى إلى معنى آخر في السياقات المختلفة عبر التأريخ فتطلق كلمة الأسلوب ويراد بها (الريشة) كريشة الديك والدجاجة حينا ومصداق ذلك ما قاله: الدكتور صلاح فضل في كتابه الموسوم بعلم الأسلوب حيث يقول:

> لا تثريب علينا أن نبدأ —مثل أجدادنا الأوائل– بالإشارة للجذر اللغوي لكلمة "أسلوب" في اللغة الأوربية المعروفة وفي اللغة العربية فقد اشتقت هذه اللغة من الأصل اللاتيني Stilus وهو يعني "ريشة" ثم انتقل عن طريق المجاز إلى مفهومات تتعلق كلها بطريقة الكتابة فارتبط أولا بطريقة الكتابة اليدوية دالا على المخطوطات ثم أخذ يطلق على التعبيرات اللغوية الأدبية كالمجاز والاستعارة والكناية فاستخدم في العصر الروماني في أيام خطيبهم الشهير "شيشرون"[1].

نستنتج من هذا النص أن الأسلوب لغة بمعنى ريشة ثم بالتوسع تحول معناه إلى المخطوطات اليدوية التي يختلف بعضها عن بعض في الشكل كخط النسخ وخطّ الرقعة كما اتسع معناه فيطلق تارة أخرى على الخواص البلاغية المتعلقة بالكلام المنطوق كالاستعارة والكناية والمجاز المرسل والاقتباس والتضاد، والترادف والمشترك اللفظي وما إلى ذلك من الظواهر البلاغية.

الفرق بين الأسلوب والأسلوبية:

كلمة الأسلوب تستخدم في اللغة بمعنى الطريقة أو المذهب هذا باعتبارها لفظة مفردة، أما إذا اعتبرناها مضاف إليه حذف منه المضاف فتعني "علم الأسلوب" فتلتقي لفظة الأسلوب حينئذ مع دلالة" الأسلوبية" التي هي: علم دراسة الأساليب الكتابية.

طبقات الأسلوب منذ فرجيل* Vergilus[2] (17-19 ق م)* فرجيل: VERGILIUS: (17-19 ق.م.) أعظم شعراء روما ألّف "الرعائيات" و"الجيورجيات" وملحمة "الإنيادة" امتاز بشاعرية رقيقة[3].

كان الأقدمون من اليونان والرومان يصنفون الأساليب الأساسية إلى ثلاثة مستويات: البسيط والوسيط والسامي. ومردّ هذا التصنيف ما لوحظ من التفاوت بين الأجناس الأدبية الثلاثة: الرعويات والزراعيات والإنياذة: كما في الترسيمة البيانية الآتية:

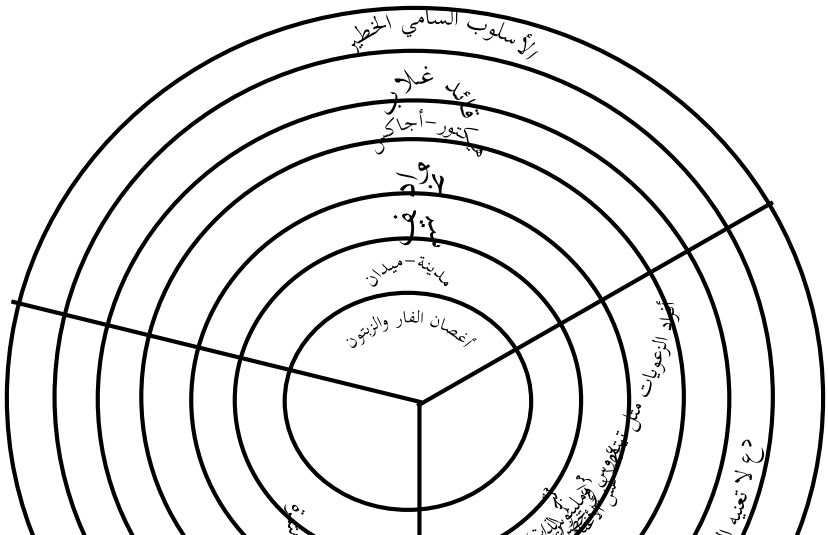

عجلة فرجيل

بيان عجلة فرجيل

> تم تصنيف الشخصيات وما يتبعها من أسماء وأدوات طبقا لدرجة الأسلوب، فإن كان الفلاح القروى ويطلق عليه اسم "كوليدس" مثلا ويعمل في الحقل بزراعة الأشجار والنباتات المثمرة مستعينا بمحراث تجره الثيران فإن القائد أولى به أن يسمى "هيكتور" وأن تعلق على جبينه أغصان الغار ويتمنطق السيف ويخترق الميدان ممتطيا صهوة جواده. وإذا كانت الحياة الشخصية الأولى لا بد أن تحكى بالأسلوب المتوسط فإن حياة الثاني طبقا لهذا المفهوم القديم تستحق الأسلوب السامى الخطير لتلائم بطولاته وأمجاده مما يعد برهانا على أن الكلمات تحتفظ بانعكاس الأشياء التي تسميها أو الوسائل التي تستخدمها[4].

طبقا للترسيمة البيانية السابقة، يدرك القارئ أن الأسلوب السامي الخطير (الإنياذي) وهو الأسلوب الأدبي العالي المنسوب إلى إنياذة الروماني. (الإنياذة: ملحمة ألفها فرجيل بطلها انياس الطروادي هرب بعد خراب طروادة إلى قرطاجة فشغفت به ملكتهاديدون فتركها إلى إيطاليا حيث أسس أحفاده روما)[5] وهو الأسلوب الأدبي العالي المنسوب إلى أنياذة الروماني هو المستوى الأعلى الذي يتناسب مع الطيقة العليا من الأمراء والقواد والمفكرين، والمعيار الأسلوبي لهذا المستوى هو حسن انتقاء لأصول اللغة من الصوت واللفظ والمعنى والصرف والنحو والأشكال البلاغية وأدواتها الفنية. كما ندرك من تلك الترسيمة أن الأسلوب الوسيط هو الذي يلائم الطبقة الاجتماعية الوسطى (الزراعيات) من الزراعيين والصناع تلك الترسيمة فهي الطبقة الدنيا (الرعويات) وتتلائم مع رعاة الأغنام والمواشي وغيرهم ممن يعيشون في الغابة مع الحيوانات والطيور.

ولتلك العجلة الفرجيلية تأثير بعيد المدى منذ عصره إلى بدء العصر الحديث. وذلك أن الأسلوب الرفيع هو الذي يتلائم مع كتابات الرسائل والمقالات الرسمية كما أن النمط الوسيط من الأسلوب يستخدم في الحرف والمهن وفي مجال التعليم والدعوة والإرشاد وخطاب الجمهور في المواقف العامة. وبها تأثير البلاغة العربية في تركيزها على النظرية "مطابقة الكلام لمقتضي الحال" وإلى هذا أشار الجاحظ في كتابه البيان والتبين حيث يتحدث عن أنواع

الخطب عند اليونان والرومان والهنود وطبقات الأشخاص التي تتناسب معها ومنها انبثقت نظرية مطابقة الكلام لمقتضي الحال أي حال الموضوع وحال المخاطب، وحال الموقف[6].

المعنى الاصطلاحي لعلم الأسلوب في العصر الحديث وبيان عناصره:

1- الأسلوب عند "بالي" يتمثل في مجموعة من العناصر الجمالية في اللغة يكون باستطاعتها إحداث تأثير نفسي عاطفي على المتلقي،[7] ويزري هذا التعريف إغفاله لعنصر الكاتب أو المتكلم.

2- و"جيراو" تلميذ "بالي" يرى أن الأسلوب هو مظهر القول ينجم عن اختيار وسائل التعبير، التي تحددها طبيعة ومقاصد الشخص المتكلم أو الكاتب"[8].

3- وأما الأسلوب عند جاكبسون فهو تطابق الاختيار الاستبدالي العمودي على محور النظمي الأفقي أي وضع الكلمات المختارة من المفردات المتاحة في مواقعها المناسبة في الجملة[9].

أوجه الخلاف بين التعريفات الثلاثة السابقة

النظر إلى هذه التعريفات الثلاثة يوقفنا على أن شارل بالي ركّز على جانبي الخطاب والمتلقي وأغفل جانب المبدع المتكلم أما جيروا فقد اعتنى بعنصري المخاطِب والخطاب وأهمل ركن المتلقي/ المستمع. وأما جاكبسون فقد اهتم بعنصر الخطاب أي النص فقط ثم قدم ترسيمة بيانية تجمع بين تلك العناصر الأساسية الثلاثة.

ثم قدّم جاكبسون نظرية الاتصال في الترسيمة التالية:

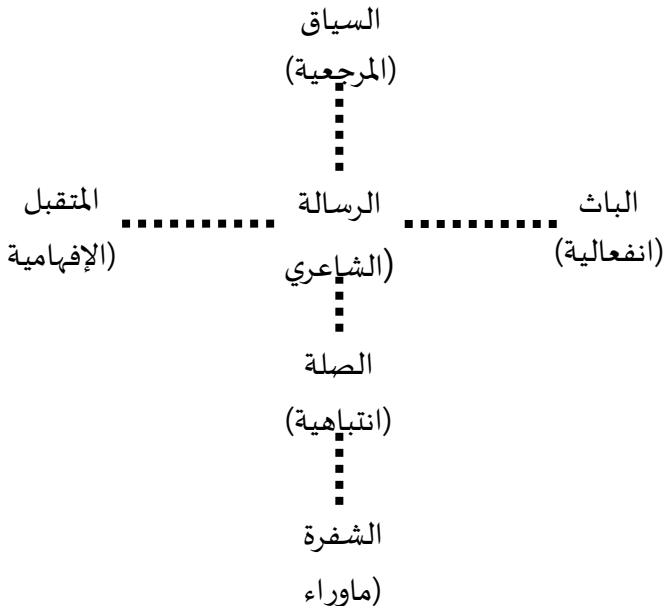

فهذا التعريف هو أشمل وأوفى لتحديد عناصر الأسلوب لأنه ذكر هذه العناصر المتكونة من المخاطب والمخاطَب والخطاب والعناصر بأجمعها تعدّ أصولا في تناول الأسلوب كما أضاف العوامل المساعدة التي توضح البيانات الخفية والتنبهات المشعرة والغشارات المفهمة.

شرح هذه الترسيمية

وقد فسر هذه النظرية عبد السلام المسدي بقوله:

1- المرسل ويولّد الوظيفة التعبيريّة (Expressive Function)، وتسمّى أيضا الوظيفة الانفعاليّة (Emotive Function)، وهي مركّزة على نقطة الإرسال فهي إذن وظيفة تنزع إلى التّعبير عن عواطف المرسل ومواقفه إزاء الموضوع الذي يعبّر عنه ويتجلّى ذلك في طريقة النطق مثلاً أو في أدوات لغويّة تفيد الانفعال كالتأوّه أو التعجّب أو دعوات الثّلث أو صيحات الاستفار...

2- المرسَل إليه وتتولّد عنه الوظيفة الإفهاميّة (Connotative) وتتجسّم هذه الوظيفة في الإعلامية (Informatively) كما تتجسّم خير تجسيم في صيغة الدّعاء وصيغة الأمر...(Imperative/Request) .

3- السّياق: ويولّد الوظيفة المرجعيّة- (Reference) وتسمّى أيضًا Cognitive و Denotative وهي الوظيفة المؤدية للإخبار باعتبار أنّ اللغة فيها تُحيلنا على أشياء وموجوداتٍ نتحدّث عنها، وتقوم اللغة بوظيفة الرّمز إلى تلك الموجودات والأحداث المبلّغَة.

4- الصلة وتولّد الوظيفة النتباهيّة (Alerting & Phatic Function) وهي تكمن في الحرص على إبقاء التواصل بين طرفي الجهاز أثناء التخاطب، وتتمثل في العبارات التي تُردّد في المكالمات الهاتفية مثلا: (آلو...تسمعني؟ ... أنت معي!....).

5- السّنن وتولّد الوظيفة المعجمية (Code & Glossary Function) وتسمّى وظيفة ما وراء اللغة (Meta Language Function) مثل هذه العبارات: "ماذا تعني؟... هل أنت تفهم عنّي ما أقول؟... أليس كذلك؟...".

6- الرسالة: وعنها تتولّد الوظيفة الإنشائية/ الشاعرية/ الشعرية/ الأبداع (Poetic Function) "وهي الوظيفة التي تكون فيها الرسالة غاية في حدّ ذاتها لا تعبر إلا عن نفسها فتصبح هي المعنية بالدرس"[11].

وتنبه الأدباء الناقدون لمحتويات الأسلوب وعناصره المهمة في تعريف الأسلوب ومن ذلك قول إبراهيم عبد العزيز السمري في تحديد الأسلوب بأنه: جملة الصيغ اللغوية التي تعمل عملها في إثراء القول وتكثيف الخطاب، وما يستبع ذلك من بسط لذات المتكلم، وكشف عن سرائره، وبيان لتأثيره على السامع[12].

ثم وضع فان دايك دليلا للدارس الأسلوبي في كتابه (Text and Context) وقد ترجم هذا الكتاب الأستاذ عبد القادر قنيني إلى اللغة العربية وقد بين معنى السياق وضروبه وأفعال الكلام كما وضع أغراض الأفعال التداولية وبنية السياق وضروب الأفعال اللغوية مع تعاليق في الفصل السابع وكذلك تناول أغراض الخطاب التداولي والجمل والمتواليات وأدوات الربط والترابط والسياق في الفصل الثامن من الكتاب.

ثم قدم دي بوجراند ودريسلر كتابهما الموسوم (Introduction to Text Linguistic) الذي يعني "مدخل إلى علم لغة النص" والكتاب يعدّ من الإسهامات الأخيرة الفعالة في كشف الغِطاء عن أسرار النص وأساليب التحليل الخطابي لأنهما استخرجا الأسس الموضوعية التي يجدر بالدارس الأسلوبي مراعاتها في تحليل النص ودراسة الخطاب لغة وسياقا.

وقد أورد هذه الأسس الدكتور حسام أحمد فرج في كتابه نظرية علم النص حيث يعلق على كتابهما بقوله:

> ويعدّ كتاب دي بوجراند ودريسلر (Introduction to Text Linguistic) صاحب الرؤية الأكثر النصوص شمولا ونضجا، لما فيه من أسس موضوعية في رؤية النصوص، استفاد فيها صاحباه من مجهودات السابقين عليهما، فقدما منهجا جمع بين الجوانب اللغوية والجوانب البراجماتية من خلال وضع سبعة معايير النصية هي:
>
> 1- الموقفية Situationality
> 2- القصدية Intentionality
> 3- المقبولية Acceptability
> 4- الإعلامية Informativity
> 5- السبك Cohesion
> 6- الحبك –التماسك Coherence
> 7- التناص Intertextuality[13].

وباختصار ذكر المحللون والناقدون عددا من العلوم التي ينبغي للدارس الأسلوبي أن يتثقف بها وهي كالآتي:

1- مراعاة لقواعد اللغة (النحو، والصرف، متن اللغة، البلاغة، المنطق، علم الدلالة والتداولية) براجماتية والسيمائية وعلم الاتصال.

2- إلمام بالعلوم الإنسانية الحديثة (علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ).

3- العلوم الطبيعية (علم الأحياء والكيمياء والفيزياء وعلم الفلك).

وهذه العلوم السالف الذكر يجب على المحلل الأسلوبي أن يتسلح بها ولو قليلا لكي يتوسل بها إلى القيام بتحليل الأسلوب في النتاج الأدبي تحليلا أسلوبيا مقنعا. وهذه العلوم تكسب المحلل المهارات اللغوية والملكة العلمية ومعرفة مقاصد المتكلمين وأحوال المخاطبين وميولهم واتجاهم وبالتالي يعرض تحليله عرضا يكشف أسلوب المؤلف ورسالته وتأثيره على المتلقي.

ترجمة وجيزة عن حياة الشيخ عبد الرحمن بن صلاح الدين الإمام الملوى بابا إلي إلا (BABA ILE-ILA)

ولادته:

ولد الشيخ عبد الرحمن بن صلاح الدين سنة 1923م لأبوين شريفين إلوريين، فأبوه صلاح الدين وأمه أسماء غَوْغَوْ من بنات عبد القادر بن صالح كان إماما ملويا، وهي أخت شقيقة للعلامة المنشئ المجدد المشهور الشيخ محمد الجامع اللبيب الملقب بـ"تاج الأدب". وقد نزح جده من مالي إلى سوكوتو ومنها إلى إلورن وكان أبوه عالما مشهورا وتاجرا ماهرا خرج من إلورن إلى مدينة من مدن ولاية أوغن تدعى بـ"إفو Ifo" وبها ولد صاحب هذه الترجمة.[14]

نشأته وتعلّمه وتعليمه

نشأ الشيخ تحت رعاية أبويه، ورحل لأخذ العلم في سن مبكرة، أكمل قراءة القرآن الكريم سردًا على يد أبيه، وأجاده إجادة محكمة متقنة، ثم التحق سنة 1934م بالمدرسة الأدبية النظامية التي أسسها العلامة الداعية الإسلامي العالمي المفتي الأول لإمارة إلورن الشيخ محمد كمال الدين حبيب الله موسى الأدبي (رحمه الله وجميع موتى المسلمين) بمدينة إلورن، فنهل من معينه العذب السلس الصافي، وكان من أوائل تلاميذ الشيخ، وقد سبقه بتلمذة على يد ذلك العملاق العلمي شيوخ كثير منهم شيخ شرف الدين ثان–أوكن إلورن (Agaka Sanni-Okin) وشيخ يعقوب ألاونلا إلورن (Ile Alawonla) الذي كان مدير هذه الجامعة (جامعة ولاية كوارا، مليتى) تليمذا له وجزئية من جزئياته وبركة من بركاته، وشيخ موسى ألفنلا ألوميمتا (Ile Alomimata) وشيخ محمد الجامع غولد إلى أووا إلورن (Ile Owa) وغيرهم ممن سبقوه من تلاميذ ذلك المفتي الأول لإمارة إلورن.

وقد كان صاحب الترجمة محظوظا لدى شيخه لنجابته العلمية وفصاحته الخطابية وشجاعته الدعوية، ولسعة أفقه الثقافي واستماتته بالعلم وطول مصاحبته لشيخه ودماثة خلقه وندرة عبقريته وتنوع مواهبه ورونق أساليبه، اتخذه زملاؤه ومعظم علماء مدينة إلورن وأمراؤها وفقراؤها وأغنياؤها صديقا لحبهم إياه.[15]

إنتاجاته:

تنوعت إنجازات الشيخ لتنوع مواهبه وأشغاله منها ما أنجز في حقل التعليم ونشره ومنها ما أنجزه في مجالات الدعوة الإسلامية السديدة ومنها ما أنجزها في إصلاح بين الناس وخير مثال لإنجازاته إضافة إلى تعليمه وتثقيفه لأبناء المسلمين نجاحه في جمعية التي كان منتميا إليها جمعية أنصار الإسلام التي أسسها شيخه وعيّنه مرشدا لها، ودعا بكتاب الله وسنة رسول الله ونجح في دعوته داخل هذه الدولة وخارجها أمثال غانا وبنين ومالي وساحل العاج وكميرون وسواها من الدول المجاورة لدولة نيجيريا. وزاول هذه الأشغال حتى صار عالما يشار إليه بالبنان في جميع أصعدت المجتمع: محليّا وولائيّا ووطنيّا ودُوَلِيّا كما صار داعيا ناجحا في دعوته وأنموذجا يضرب به الأمثال في دعوته

إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ممتثلا لأوامر الله ومجتنبا لنواهه ومجادلا لغير المسلمين بالتي هي أحسن. واهتم الشيخ بالعلم ونشره والدعوة وتفاني فيها، وهذا وذاك وتلك الثقافة الاجتماعية الإسلامية أسهمت في إيفاد الناس إليه واقترابه منه واستعانة به، كما رأينا ذلك عند صديقيه: العلامة المفتي الثاني لإمارة إلورن المرحوم الشيخ خضر صلاح الدين أبوكغي والعلامة الشيخ آدم عبد الله الإلوري وهما معه ثلاث أثافي (Aro meta ti kida obe nu)[16]، وقد ارتقى هذا الأديب إلى أعلى الدرجات التي يعتليها علماء إلورن وأئمتها وصار إماما ملويا سنة 1985م عيّنه الأمير التاسع لإمارة إلورن الشيخ ذو القرنين محمد الغمبري (رحمه الله وجميع موتانا) وهو الإمام العاشر للأسرة الملوية. وقضى على عرش الإمامة ما اقترب من ثلاث سنوات بأعمال جادة وإصلاحات إسلامية جيدة نافعة حتى التحق بالرفيق الأعلى سنة 1987م، وما فاتنا من نتاجه العلمي وثقافته الأدبية أكثر مما وصلنا لأنه كان يتبادل الرسائل مع زملائه وأصدقائه الذين أسلفنا الحديث عنهم يراسلهم ويراسلونه وهي بالعربية في منتهى الدقة والإتقان والإحكام، وقد عثرنا على بعض مقالاته ووجدناها ملئت دررا وحكما وعلوما، ومن ذلك المقال الذي هو قيد محاضرة اليوم. وقد اشتهر بأسلوب متميّز كما خطيبا متمكّنا اعترف به الأقاصي والأداني وشهد بذلك أعداؤه "والفضل ما شهدت به الأعداء".

شخصيته كما عرفته:

آن الحين أن نكشف الغطاء عن سيرة غيرية لعبقري إسلامي فذ متعدد المواهب متنوع المسميات، إخوانه وزملاؤه يسمونه "عبد الرحمن" كاسمه الأصلي وتلاميذه يلقبونه بـ"معلم، أستاذ، وشيخ المرشد، بابا مشنغبا، بابا إلِيْ- إلا، وجماعته في الحي الملوي يسمونه بالإمام الملوي، هذا وذاك إن دل على شيء فإنما يدل على مكانته العلمية وسعة ثقافته وسياسته الاجتماعية وحركاته الدينية، فكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى.

نعم، إن "بابا إلى— إلا" ذو جوانب مختلفة، إن أدركته على التعليم كان خير معلم، وإذا عثرت عليه في حلقته الوعظية ظننته سحبانا لفصاحته ورنانة صوته ومهارته وإجادته لأساليب الدعوة والإرشاد، وإن قُدِر لك أن تصادفه خطيبا لن تُؤْمر بالإنصات والاستماع إليه حتى يجذبك وقع كلامه وحلاوة تراكيبه وحسن أدائه، وعلو أساليبه الأخّاذة لمجامع القلوب. لقد سمعت حين وفاته — وكنت حينئذ في المرحلة الإعدادية- شيخه -وشيخنا جميعا- المفتي الأول لإمارة إلورن أعجوبة الزمان المرحوم الشيخ العلامة الدكتور محمد كمال الدين حبيب الله موسى الأدبي —رحمه الله تعالى— يقول: "إنه لم تطأ رجله أرض قوم إلا ويتحدث بلغة أهل تلك الأرض دون تعلمها من أهلها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"، وفي ذلك اليوم أيضا ارتجل المرحوم الشيخ أحمد عبد القادر ألايي (Alaye) —رحمه الله— نتفة ولم يذكر لنا يومئذ إلا صدر البيت الذي يقول: "إمام إمالي عالم متفنن".

إن هذا الشيخ عبقري ظلمه زمانه حيث لم يُكتب عنه، ولم يقدم أحد سيرته الغيرية لإفادة الأمة الإسلامية بلبقاته وفصاحته وألمعيته وهندامه وسياسته الإسلامية السديدة الوجيهة وكراماته النادرة، أليس من الظلم أن يرحل عنا من استنار به معظم المدارس الإسلامية والعربية، والجمعيات الإسلامية، بل والأمة الإسلامية جمعاء في أنحاء نيجيريا وخاصة في ديار يوربا. ولم يدون تاريخ حياته وحركاته العلمية والدعوية ولو في كُتَيِّب، ولهذا نقدر جهود شيخنا القدير سعد الدين عبد الرؤوف أيسنروغنجو في كشف الستار عن هذا العملاق الذي ترك آثارا علمية

ومهارات ثقافية وحركات دعوية وخطبا دينية باقية على مر العصور وكر الدهور، لقد وفق شيخنا – أسنروغنجو لذلك، حيث قدم لنا سيرة غيرية لهذا العلم من أعلام هذه الإمارة العلمية العالمية الإلورية، فالله نسأل أن يرحم الشيخ المترجم له ويمد في عمر الكاتب، وأن يمتعه بالصحة الكاملة والعافية التامة لسد ثغرات خالية باقية. ومعظم معلومات هذا المقال أخذت من ذلك الكتاب وأحلت إليه.[17]

السياق الموقفي أو مناخ المقال

إن هيئة التدريس بالمعهد العربي بمدينة أووو عزمت على تخليد معهدها وتأريخ ذكراها بكتابة مجلة عربية إسلامية اجتماعية ثقافية. ولما أبرمتها وأحكمتها وأتقنتها نادت عضوا تأسيسيا وركنا ركينا وأصلا أصيلا من أعضاء اللجنة التنفيذية المكونة للجماعة الأدبية الكمالية ممثلة في شخصية المرشد العام الأسبق لجماعة أنصار الإسلام بنيجيريا وخارجها والإمام الملوي العاشر لإمارة إلورن العلامة الشيخ عبد الرحمن صلاح الدين بابا إلي إلا (Baba Ile-Ila) بإلقاء كلمته لهذه المناسبة العلمية الأدبية الدينية الافتتاحية، وقد سميت المجلة بـ"مجلة الهدى" وأسندت إلى معهد العربي بمدينة أووو كمبدعها ومخترعها، وهاك نص المحاضرة والمقالة برمتها، وذلك بتاريخ 1982م.[18]

نص المقالة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وأشهد أن لا إله إلا الله صاحب الملك والملكوت والعزة والجبروت، وأشهد أن محمدا رسول الله المبعوث رحمة للعالمين –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد، فيقول الله تعالى في كتابه الكريم: "**أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥**" (سورة إبراهيم، آية: 24–25). هذا هو شأن الكلمة الطيبة عند الله، وذلك تقسيمه وتقديره لعظم أمرها وجلال شأنها، فالله جل شأنه كرّم الإنسان وفضله على سائر خلقه حتى على الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. وذلك بما أودعه فيه من نعمة العقل وإمكانية الفكر، ألا وإن أفضل ما ينتجه العقل هو نعمة الله الكبرى على الإنسان، ليس إلا كلمة طيبة توجه إلى الخير، وتدعو إلى الحق وإلى الصراط المستقيم، وتأخذ بيد الضالين، ترشدهم وتهديهم وتنير لهم الطريق إلى شريعته السمحاء الخالدة.

وانظر يا أخي في كتاب الله لتجد المولى سبحانه وتعالى يعلي من شأن القلم وما يسطره حتى يصل به إلى درجة القداسة، فيتخذه قسما في قرآنه ومحكم آياته، "**نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ**" (سورة القلم، آية: 1). وفي أول اتصال الأرض بالسماء، وأول لقاء مباشر لنورانية الملائكة متمثلة في جبريل الأمين، وإنسانية البشر متمثلة في محمد عليه الصلاة والسلام، يتنزل وحي السماء بهذه الآيات البينات لتكون افتتاحية مقدسة لقرآن الله:

"ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥" (سورة العلق، آية: 1-5)... أن يكون هناك تقدير لنتاج العقل أعظم أو أجل؟ أهناك منزلة أسمى أو أرفع من منزلة أنزلها الله للعلم والعلماء حين أسبغ عليهم صفة من صفات النبوة فجعلهم منذرين، وجعلهم أمه، وجعلهم لعلمهم أعرف خلق الله بما يجب لله إذ يقول: "۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ" (سورة التوبة، آية: 122). "وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ..." (سورة آل عمران، آية: 104) "إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ" (سورة فاطر، آية: 28).

ولهذا فإنني أرى في هذا العمل الطيب، وهذه الخطوة من شبان معهد التعليم العربي الأدبي بأووو بإصداره مجلة الهدى استجابة كريمة لتوجيهات الله وتلبية مؤمنة لنداء القرآن ونزوعا بالنفس عن شواغلها وشهواتها وارتقاء بها إلى مراتبها العليا حيث شفافية الروح ونورانية القلوب، وإذا كانت الكلمة المسموعة تعني توجيه سامعيها وحسب، فإن الكلمة المكتوبة لأعظم أثرا وأكبر شأنا فهي تقصد إلى توجيه المسلم وإرشاده في كل وقت وأن، في كل عصر وكل زمان، حيث إنها من الباقيات الصالحات التي يقول النبي (ﷺ) عنها: "إذا مات ابن آم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له". وصدق من قال:

الخط يبقى زمانا بعد كاتبه ** وكاتب الخط تحت الأرض مدفون

إن إصدار مجلة "الهدى" عمل طيب نتمنى له التوفيق والسداد، وخطوة مباركة تخطوها، يا إخوتي، في هذا الدرب، تليها خطوات وخطوات، أداء للرسالة وقياما بالمهمة التي أنتم لها أهل وبمثلها جديرون، فهنيئا لهذا الزمان الذي يعيش فيه شباب مسملون أمثالكم، وهنيئا لمعهد تخرج منه أجيال واعية مؤمنة كجيلكم، وأهلا ومرحبا بنتاج هذه العقول المستنيرة التي صقلها العلم وأنارها الإيمان. وبعد، فإنه لا يفوتني بهذه المناسبة أن أشير إلى النبع الصافي الذي ارتوى منه هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم وهم خريجو معهد التعليم العربي بأوو المثقفين العالمين –والنبع هو المعهد الأم والأصل الأصيل لكل المعاهد الأدبية– إنه المعهد الديني الأزهري بإلورن، الذي تمتد جزوره إلى الأزهر الشريف، أقدم جامعة عرفتها البشرية في تاريخها، منارة للثقافة الإسلامية ومشعلا للمعرفة الإنسانية وسراجا وهاجا، لا يخبو ضوؤه بكرّ السنين والأعوام، هذا المعهد الأزهري الذي يعتبر قطعة حية نابضة من أزهر مصر في قلب أفريقيا حيث شيوخه ومعلّموه من الأزهر يأتون وامتحاناته وشهاداته تصدر من الأزهر وتعتمد عليه، وكم خرج من هذا

المعهد العريق منذ افتتاحه ولا يزال أجيال من العلماء النابهين، الذين غذوا الشبان المسلمين في نيجيريا بل في أفريقيا كلها برضاب الثقافة الإسلامية النقية الخالصة من كل شائبة، ومعهد التعليم العربي الأدبي واحد من معاهد كثيرة يشرف بأمثال هؤلاء، فمنهم شيوخه ومعلّموه، وإذا كان الشيء بالشيء يذكر كما يقولون لا بد من الإشارة إلى المؤسّس الأوّل لهذا الصرح العلمي الشامخ في إلورن بنيجيريا. إنه الشيخ العلامة الحاج محمد كمال الدين الأدبي الذي أكمل الله به كل نقص، وسد به كل ثغرة في البنيان الإسلامي المتين بنيجيرا كلها. ومؤسس معهد التعليم العربي الأدبي الحاج خضر أبوكغي، مدين بكل ما أفاد الله به عليه من علم وما أفاض عليه من ثقافة وجلاء بصيرة لشيخه ومعلمه الحاج محمد كمال الدين الأدبي فهو تلميذ من تلاميذه وفتى من فتيانه الأعلام الذي أعدّهم للجهاد المقدّس في رحاب العلم وميدان نشر الإسلام وخدمة المسلمين، فجزى الله هذا المجاهد العظيم الحاج محمد كمال الدين الأدبي خير الجزاء على ما قدم وأسهم في نشر الإسلام وتربية هذه الأجيال الفتية تربية إسلامية حقّة على نور من الله ورضوان.

وختاما فلا يسعنى إلا أن أتوجه بخالص الشكر ووافر الامتنان لمن هيأ لي هذه الفرصة ومنحني تلك الإطلالة المشرقة من نافذة الهدى لأكون صاحب الافتتاح لهذه البوتقة المضيئة التي أدعو الله أن تكون فاتحة خير وسبيل هداية ورشاد، كما أبتهل إلى الله أن يوفق القائمين على هذا العمل العظيم وأن ينفع بعلمهم المسلمين، وأن يسدد خطاهم على طريق العلم، طريق الإسلام طريق الكلمة الطيبة طريق الفوز والهدى.[19]

خلاصة معاني النص:

استهل الشيخ مقاله بعد حمد الله على إرساله لرسوله بهدى القرآن وصلى وسلم على ذلك المرسل –ﷺ– ومد جناح صلاته على صبحه وعلى كل من دعا إلى منهجه إلى يوم الدين، ثم اتبع الكاتب مقالته بعرض آية قرآنية ضاربا بها المثل وإظهارا لما في الكلمة الطيبة الواردة في الآبة وعظمتها وجلال شأنها ثم ذهب في شرحه للآية القرآنية الكريمة مبرزا لكرمه وإنعامه ورفعه للإنسان وفضله له على سائر الكائنات حتى الملائكة مع أنهم في قائمين على طاعة أمر ربهم، ثم يلفت الأديب أنظار المتلقين إلى ماهية الكتابة وما لها من أثر في حياة المجتمع الراقى وأثبت ذلك بالوحي المنزل على رسوله المرسل، وأقر بأن القراءة والكتابة سلاحتان للدفاع عن الإسلام والإنسائية، وحث أبناء المسلمين على القيام بهما والقيام بهما فرض عين ومن واجبات علماء الإسلام، ثم أبدى الكاتب سروره وإعجابه بما قام به طلاب معهد العربي بمدينة أووو من صنع خيرى ممثلا في إبداعهم لمجلة عربيّة إسلاميّة ثقافيّة سمّوها بـ"مجلة الهدى" وأقرّ الكاتب وصرّح بأن المجلة استجابة كريمة وتلبية لحاجة المجتمع وسدّا لثغرة قد يحدثها عدمها وعدّها من الباقيات الصالحات التي هي خير ثوابا وخير عملا، ثم حرّضهم على مواصلة السير في مثل هذا الدرب وحثّهم على مضي قدما، ثم هنأهم ورحّب بهم وبزمانهم كما هنأ معهدهم على هذا الإنتاج العقلي الإنساني الخالد، ثم ذكّرهم بأن العجب أن لا يحدث هذا الصنيع الجيد وهذا الإبداع العلمي الثقافي وهم فرع من فروع معهد الديني الأزهري بإلورن ذلك النبع العذب السلس الصافي الذي امتدت جزوره إلى تلك القلعة العلمية الشامخة: الأزهر الشريف ثم بصّرهم بمكانة أمهم وجدّتهم كما عرّفهم بمنصب أبيهم وجدّهم، وأبوهم هو المفتي الثاني لإمارة إلورن الشيخ خضر صلاح الدين أبوكغي وجدّهم هو العملاق العصري أعجوبة الزمان المفتي الأول لإمارة إلورن الشيخ محمد كمال

الدين حبيب الله موسى الأدبي وأشار بأن شيخهم مدين لجدّهم المفتي الأول لما استفاد منه من علم وما أفاض الله عليه من بركات ذلكم العجوبة وعد الكاتب شيخ خضر صلاح الدين جزءًا من جزئياته وفتى من فتيانه الأعلام الذين أعدّهم شيخهم للجهاد في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ثم دعا لهم بالخير وختم مقاله بتوجيه اعترافه لمنحه فرصة الكلمة لافتتاحية في مثل هذه المناسبة العلمية الثقافيه.

فِقَرَاتُ المقالة وهَيْكَلُهَا:

وإذا أمعنا النظر إلى ما احتوت عليها هذه المقالة من الفِقَرَات نجدها تتكون من – بعد فقرة المقدمة التي صدرت بالحمدلة – تتكون من خمس فقرات فكل من هذه الفقرات الخمس ارتبطت بعضها ببعض بأداة عطف ظاهرة إلا الفقرة الرابعة فإنما ملتصفه ومرتبطة بسابقتها بأداة ربط ضمنية والواوات المتكررة الواردة في هذه المقالة في معظم الأماكن التي وردت فيها تفيد مطلق الجمع بين الكلمتين أو الجملتين في كثير من الأحيان وتفيد لاستئناف الجملة الجديدة وابتدائها. كما تفيد طورا آخر بيان الحال للمسند إليه أو المسند.

الظواهر الأسلوبية في المقالة:

عناصر الأسلوب البنيوي الأدبي هي:

أ- اختيار الصوت.

ب- اختيار اللفظ (الكلمة).

ج- اختيار المعنى (الدلالة).

د- اختيار الصّيغ الصرفية.

هـ- اختيار الأنماط النحوية.

و- اختيار الأشكال البلاغية (الأسلوبية).

الملاحظات الأسلوبية

أدرك الكاتب أن صاحب المقال تحرّى دقّق في اختياره للظواهر الأسلوبية المتخلّصة في المستويات الأسلوبية التالية[20]:

1- العنصر الصوتي:

لم يقف الباحث عند تجوله في قراءة هذه المقالة من بدايتها إلى نهايتها على خطإ إملائي، أو خلل صوتية، بل أعطى كل صوت حقّه المقعد في فني الإملاء والتجويد وميّز بين همزتي الوصل والقطع وهاتان الهمزتان يخطئ في استخدامهما معظم الكتاب والقراء إلا الماهرون المتقنون. كما نلاحظ أن الكاب لم تورد في مقاله من ألفه إلى يائه كلمات متنافرة الحروف نابية الأصوات، ولذا نرى ألفاظ هذا المقال من بدئه إلى ختمه في غاية التلاحم والانسجام[21].

2- العنصر اللفظي (المعجمي):

بتتبعنا للمقال أدركنا أنّ الأديب قد تأنّق في انتقاء الألفاظ المناسبة الدالة على قصده بدون خفاء أو إبهام يحدث اللبس على القارئ أو المتلقّي ويضله عن فهم غرض الكاتب. وذلك أنه تحاشى المشترك اللفظي، وتجنّب الغريب الحوشي، والمعاظلة وغيرها من الكلمات التي تؤدي بالقارئ إلى كدّ الذهن والتروّى والفحص المدقّق في المعاجم العربية قبل انجلاء معناها. وكذلك وجدنا حسن مراعاة الكاتب للميزان الصرفي كما قنّنه الصرفيون، من إفراد وتثنية وجمع وتصغير ونسب كما اعتنى الأديب في تحريه التّقصّي والدق في مباحث المشتقات على اختلاف أوزانها وخير مثال لذلك قوله[22]:

> وفي أوّل اتّصال الأرض بالسّماء، وأوّل لقاء مباشر لنورانيّة الملائكة متمثّلة في جبريل الأمين، وإنسانيّة البشر متمثلة في محمد عليه الصلاة والسلام، **يتنزّل** وحي السماء بهذه الآيات البيّنات لتكون افتتاحيّة مقدسة لقرآن الله.

نعم، نظر الباحث نظرة الممعن ولم نعثر على لفظ من ألفاظ المقال يلجئنا إلى بحث دقيق قبل فهم مراد الأديب، أو دلالة التركيب. وكذلك يدرك القارئ لهذا النص أن الكاتب شديد الحفظ والتّتبّع لقواعد الصرف حيث يتريّث ويتأنى في اصطفاء كل كلمة في جدول الاختيار والاستبدال قبل استخدامها في أجزاء النص.

3- العنصر الدلالي (المعنوي)[23]:

بعد جولتنا لنصّ المقال من ألفه إلى يائه لاحظنا أن ما ورد في المقال من عناصر الانزياح أو العدول (الصور البيانية) كالتشبيه والاستعارة والمجاز المرسل (المفرد والمركب) والمجاز العقلي والكناية باختلاف أنواعها، سيق وفقا للقواعد المقررة في مباحث علم البيان. ومن الأمثلة التي وردت في هذا الصدد هي الآتية:[24].

التشبيه مثل:

"أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥" (سورة إبراهيم، آية: 24-25).

القصر مثل:

> "ألا وإن أفضل ما ينتجه العقل هو نعمة الله الكبرى على الإنسان، ليس إلا كلمة طيبة توجه إلى الخير، وتدعو إلى الحق وإلى الصراط المستقيم، وتأخذ بيد الضالين، ترشدهم وتهديهم وتنير لهم الطريق إلى شريعته السمحاء الخالدة."[25]

نلاحظ أن الشيخ استخدم القصر بطريقة من طرقها المعهودة وقد استخدم هنا النفي والاستثناء حيث عدّ أفضل ما ينتجه عقل الإنسان نعمة من نعم الله الكبرى وقصرها على الكلمة الطيبة توجه إلى الحق وتدعو إلى الصراط المستقيم، وهذا الاستعمال ليس بشيء سوى الاستجابة والتلبية لسياق الموقف.

ويضاف إلى ذلك ما لوحظ في تراكيب كلامه من حسن التصوير ودقة الوصف ورونق التصنيف لطرق القراءة وجودة العرض والسرد، كما في قوله[26]:

ولهذا فإنني أرى في هذا العمل الطيب، وهذه الخطوة من شبان معهد التعليم العربي الأدبي بأووو بإصداره مجلة الهدى استجابة كريمة لتوجيهات الله وتلبية مؤمنة لنداء القرآن ونزوعا بالنفس عن شواغلها وشهواتها وارتقاء بها إلى مراتبها العليا حيث شفافية الروح ونورانية القلوب، وإذا كانت الكلمة المسموعة تعني توجيه سامعيها وحسب، فإن الكلمة المكتوبة لأعظم أثرا وأكبر شأنا فهي تقصد إلى توجيه المسلم وإرشاده في كل وقت وأن، في كل عصر وكل زمان، حيث إنها من الباقيات الصالحات التي يقول النبي (ﷺ) عنها: "إذا مات ابن آم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له". وصدق من قال:

الخط يبقى زمانا بعد كاتبه ** وكاتب الخط تحت الأرض مدفون[27]

الأنماط الأسلوبية (التركيبية النحوية) [28]**:**

استقرأ الأسلوبيون المحلّلون أنماط التركيب النحوي ووجدوها على قسمين:

الأول: تركيب بسيط مثل يا إخوتي، وقوله: إن إصدار مجلة "الهدى" عمل طيب نتمنى له التوفيق والسداد.

والثاني: تركيب غير بسيط وهو على ثلاثة أقسام:

فالأول: مركّب مثل: هذه الخطوة من شبان معهد التعليم العربي الأدبي بأووو بإصداره مجلة الهدى استجابة كريمة لتوجيهات الله.

والثاني: المؤلّف: مثل قوله: "فالله جل شأنه كرّم الإنسان وفضله على سائر خلقه حتى على الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. وذلك بما أودعه فيه من نعمة العقل وإمكانية الفكر".

الثالث: مركّب مؤلّف (المعقّدة) مثل قوله: "وإذا كانت الكلمة المسموعة تعني توجيه سامعيها وحسب، فإن الكلمة المكتوبة لأعظم أثرا وأكبر شأنا فهي تقصد إلى توجيه المسلم وإرشاده في كل وقت وأن، في كل عصر وكل زمان، حيث إنها من الباقيات الصالحات التي يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) عنها: "إذا مات ابن آم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"..

والتركيب من هذا النوع يغلب معظم فقرات المقالة حيث إننا –بعد تتبعنا– لاحظنا أنه لم تخل فقرة عن هذا الصنف من التركيب وهاكم بعض نماذج منه:

إن إصدار مجلة "الهدى" عمل طيب نتمنى له التوفيق والسداد، وخطوة مباركة تخطوها، يا إخوتي، في هذا الدرب، تليها خطوات وخطوات، أداء للرسالة وقياما بالمهمة التي أنتم لها أهل وبمثلها جديرون، فهنيئا لهذا الزمان الذي يعيش فيه شباب مسملون أمثالكم، وهنيئا لمعهد تخرج منه أجيال واعية مؤمنة كجيلكم، وأهلا ومرحبا بنتاج هذه العقول المستنيرة التي صقلها العلم وأنارها الإيمان. وبعد، فإنه لا يفوتني بهذه المناسبة أن أشير إلى

النبع الصافي الذي ارتوى منه هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم وهم خريجو معهد التعليم العربي بأوو المثقفين العالمين —والنبع هو المعهد الأم والأصل الأصيل لكل المعاهد الأدبية– إنه المعهد الديني الأزهري بإلورن، الذي تمتد جزوره إلى الأزهر الشريف، أقدم جامعة عرفتها البشرية في تاريخها، منارة للثقافة الإسلامية ومشعلا للمعرفة الإنسانية وسراجا وهاجا، لا يخبو ضوؤه بكرّ السنين والأعوام، هذا المعهد الأزهري الذي يعتبر قطعة حية نابضة من أزهر مصر في قلب أفريقيا حيث شيوخه ومعلموه من الأزهر يأتون وامتحاناته وشهاداته تصدر من الأزهر وتعتمد عليه، وكم خرج من هذا المعهد العريق منذ افتتاحه ولا يزال أجيال من العلماء النابهين، الذين غذوا الشبان المسلمين في نيجيريا بل في أفريقيا كلها برضاب الثقافة الإسلامية النقية الخالصة من كل شائبة، ومعهد التعليم العربي الأدبي واحد من معاهد كثيرة يشرف بأمثال هؤلاء، فمنهم شيوخه ومعلموه، وإذا كان الشيء بالشيء يذكر كما يقولون لا بد من الإشارة إلى المؤسس الأول لهذا الصرح العلمي الشامخ في إلورن بنيجيريا. إنه الشيخ العلامة الحاج محمد كمال الدين الأدبي الذي أكمل الله به كل نقص، وسد به كل ثغرة في البنيان الإسلامي المتين بنيجيرا كلها. ومؤسس معهد التعليم العربي الأدبي الحاج خضر أبوكغي، مدين بكل ما أفاد الله به عليه من علم وما أفاض عليه من ثقافة وجلاء بصيرة لشيخه ومعلمه الحاج محمد كمال الدين الأدبي فهو تلميذ من تلاميذه وفتى من فتيانه الأعلام الذي أعدهم للجهاد المقدس في رحاب العلم وميدان نشر الإسلام وخدمة المسلمين، فجزى الله هذا المجاهد العظيم الحاج محمد كمال الدين الأدبي خير الجزاء على ما قدم وأسهم في نشر الإسلام وتربية هذه الأجيال الفتية تربية إسلامية حقة على نور من الله ورضوان.

ومنه أيضا قوله:

وختاما فلا يسعنى إلا أن أتوجه بخالص الشكر ووافر الامتنان لمن هيأ لي هذه الفرصة ومنحني تلك الإطلالة المشرقة من نافذة الهدى لأكون صاحب الافتتاح لهذه البوتقة المضيئة التي أدعو الله أن تكون فاتحة خير وسبيل هداية ورشاد، كما أبتهل إلى الله أن يوفق القائمين على هذا العمل العظيم وأن ينفع بعلمهم المسلمين، وأن يسدد خطاهم على طريق العلم، طريق الإسلام طريق الكلمة الطيبة طريق الفوز والهدى.[29]

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد هو أن الأسلوبيين واللغويين والأدباء (الشعراء والخطباء والكتّاب) يخرجون على قوانين اللغة وأنماطها التركيبية أحيانا رغبة في الإبداع أو ضرورة لإقامة الوزن الشعرى أو مراعاة للفواصل النثرية. ولذلك نراهم يتجهون في سرد إبداعاتهم نواحي عدّة من تقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، وحذف وذكر، وإضمار وإظهار، وقصر ممدود ومد مقصور وتشديد وتخفيف، وتسكين وتشكيل وغيرها طبقا لما يمليه عليهم سياق الموقف.

وبناء على هذه الملاحظات فإن الكاتب دوّن الملامح الأسلوبية في أنماط التركيب النحوي التي وردت غالبة في أسلوب الشيخ لهذا النص الذي هو قيد البحث كما في معظم تراكيب المقالة.

التَّقصِّي في استعمال أدوات الرَّبط:

التقصي هو صعود بالمعنى وتوصيله إلى الغاية وهذا ما سمّاه ابن رشيق بـ"التتميم" بمعنى أن الكاتب لا يدع شيئا في مقاله يضيف حسن وجمالا ورونقا إلى مقالته إلا أورده وأتى به وما يشبه ذلك في هذا النص الذي تحت النقاش مثل قوله في الفقرة الخامسة:

> إن إصدار مجلة "الهدى" عمل طيب نتمنى له التوفيق والسداد، وخطوة مباركة تخطوها، يا إخوتي، في هذا الدرب، تليها خطوات وخطوات، أداء للرسالة وقياما بالمهمة التي أنتم لها أهل وبمثلها جديرون، فهنيئا لهذا الزمان الذي يعيش فيه شباب مسملون أمثالكم، وهنيئا لمعهد تخرج منه أجيال واعية مؤمنة كجيلكم، وأهلا ومرحبا بنتاج هذه العقول المستنيرة التي صقلها العلم وأنارها الإيمان.

ومن التتميم والتقصي قوله:

> إنه المعهد الديني الأزهري بإلورن، الذي تمتد جزوره إلى الأزهر الشريف، أقدم جامعة عرفتها البشرية في تاريخها، منارة للثقافة الإسلامية ومشعلا للمعرفة الإنسانية وسراجا وهاجا، لا يخبو ضوؤه بكرّ السنين والأعوام.

ولا يخفى ما في النص الآتي من التقصي والتتميم:

> إنه الشيخ العلامة الحاج محمد كمال الدين الأدبي الذي أكمل الله به كل نقص، وسد به كل ثغرة في البنيان الإسلامي المتين بنيجيرا كلها.

فإن العبارات التي تحتها خط تعتبر تتميما واستقصاءا للجملة الأساسية لأنها هي التي أتت بأوصاف لفظ "عمل" الوارد القطعة الأولى وجميع ملابساتها. وعرف كلاّ من كلمتي "التوفيق والسداد" لتحديد رجاء الكاتب للمجلة وبأنه يرجو للمقالة حقيقة التوقيف وجوهر معناها كما يرجو لها عين السداد وذكر لفظة "الأزهر" المعرف بـ"أل" العهدية إشارة إلى الأزهر المعهود وردًّا لذهن المتلقي (المستمع) إلى ذكر الأزهر بكل ما وصف به للتأَكِيْد والتوضيح للمخاطَبين والمخاطِبين.

الخاتمة:

حاولنا في هذه المقالة بعنوانه "الأنماط الأسلوبية في مؤلفات بعض علماء إلورن عبد الرحمن صلاح الدين (الشيخ الإمام الملوي) أنموذجا" تسليط الضوء على الظواهر الأسلوبية المتمثلة في: العنصر الصوتي والعنصر اللفظي (المعجمي) والعنصر الدلالي (المعنوي) ثم تعرضنا للأنماط الأسلوبية (الأنماط النحوية التركيبية) وبيّنا دوره الهام في ربط الكلمة بالكلمة والجملة بالأخرى والفقرة بنظيرتها لإحداث السبك والحبك ثم جعل معاني النص مستوعبة عند الباثين والمتلقين، وهذا كله بعد تنقيبنا وعرضنا لنبذة وجيزة عن حياة صاحب المقال وإلقاء لأضواء تعلّمه وتعليمه

وتوصيله للمعارف العربية والإسلامية كاشفا في كلٍّ عن سعته العلمية وثقافته الأدبية وما تركز في طبعه من دماثة الخلق وحسن المعاملة ثم تناولنا فقرات المقالة مبينا ما فيها من ربط وعلاقة والتصاق مما أحدث السبك في ألفاظها والحبك في فقراتها حتى تشخص وتجسد في هيكل واحد.

تقريرات المقال ونتائجه:

– لَفَتَت المقالة الأنظار إلى عدة الظواهر الأسلوبية (أنواع العدول والانزياح) من تشبيه واستعارة ومجاز مرسل وكناية وسواها.

– تكمن في المقالة المظاهر العلمية من إحالة بنوعيها القبلية والبعدية.

– مما بساعد المتلقي على استيعاب مضامين المقال ومقاصد الباث.

– إن المقال كشف عن مراحل حياة كاتبه وما بذله من المجهودات في تحصيل العلم وتوصيله ونشره بخطابته الدعوية وثقافته الأدبية.

إسهام المقال في العلم

أ– يعد هذا المقال دراسة لظواهر الأسلوب ورصدا لبعض ما ورد فيه من الخصائص الأسلوبية والأنماط التركيبية في ضوء ما يرافقه من السياق الموقفي والديني والنفسي والاجتماعي.

ب– تناول المقال مستويات الأسلوب ليكون القارئ أو المتلقى على علم بجوانب مهمة من فوائد الأسلوبيه وملامحها.

ج– أوجز هذا المقال عناصر الأسلوب وطبقه تطبيقا عمليا خلال المقال.

الاقتراحات والتوصيات

هذا المقال وإن اشتمل على نص واحد لكاتب واحد فإن ما فيه من الظواهر الأسلوبيه والأنماط التركيبية النحوية لا تنحصر على المقال وحده بل هو بمثابلة كشافة لإنارة الطريق.

– يحتاج هذا المقال إلى إحالة النظر في نصه وإعادة تحليله وعرضه ثم تقديمه إلى عالم المعرفة ليعمَّ نفعه.

هوامش

1– صلاح فضل، **علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته** ط2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985 صـ صـ 71–72

2– صلاح فضل، المرجع نفسه، صـ 249

3– لويس معلوف اليسوعي، **المنجد في الأعلام**، ط22، لبنان، دار المشرف بيروت، 1997م، صـ 408

4– صلاح فضل، المرجع نفسه،صـ صـ 250–639

5– لويس معلوف اليسوعي، المرجع نفسه، صـ 79

6– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، لبنان، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 2011م (1432هـ)، صـ 63

7– إبراهيم عبد العزيز السمري، **اتجاهات النقد الأدبي العربي**، ط 1، القاهرة، دار الآفاق العربية القاهرة 2011م، صـ صـ 250–251

8- إبراهيم عبد العزيز السمري، المرجع نفسه، صـ صـ 250-251
9- إبراهيم عبد العزيز السمري، المرجع نفسه، صـ 254
10- عبد السلام المسدّي، **الأسلوبية والأسلوب**، ط 5، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2006م، صـ صـ 43-45
11- عبد السلام المسدّي، المرجع نفسه، صـ صـ 121-122
12- إبراهيم عبد العزيز السمري، المرجع نفسه، صـ 249
13- حسام أحمد فرج، **نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري**، ط 2، القاهرة، مكتبة الآداب القاهرة، 2009م، صـ صـ 251-252
14- محمد يعقوب علي آغن، **الشيخ محمد كمال الدين الأدبي** حياته ومساهمته في نشر الثقافة العربية في نيجيريا، الطبعة الأولى 2001م، مطبعة ألبي جمبا إلورن، ص 62
15- محمد يعقوب علي آغن، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
16- مقابلة مع المفتي الثاني لإمارة إلورن وأنا موظف بإذاعة ولاية كوارا سنة 2005م.
17- محمد يعقوب علي آغن، المرجع السابق، والصفحة نفسها.
18- د. عثمان عبد السلام محمد الثقافي، **تاريخ الأدب العربي في مدينة إلورن من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال**، الطبعة الثانية 1430هـ/2009م، مطبعة دار الفكر العربي، ص 84
19- د. عثمان عبد السلام محمد الثقافي، المرجع نفسه، ص ص 84-87
20- محمد الأول أبوبكر، **مذكرات إمام وخطيب في مناخ جامعي**، ط1، 1416هـ/1995م، مكتب الأدب الإسلامي المعاصر ص ص 59-64
21- حسام أحمد فرج، **نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري**، ط2، القاهرة، مكتبة الآداب القاهرة، 2009م، ص ص 115-117
22- حسام أحمد فرج، المرجع نفسه، ص ص 116-117
23- محمد الأول أبوبكر، المرجع السابق، ص 78
24- محمد الأول أبوبكر، المرجع نفسه، ص ص 106-108
25- د. عثمان عبد السلام محمد الثقافي، المرجع السابق، ص 85
26- محمد الأول أبوبكر، المرجع السابق، ص ص 136-138
27- د. عثمان عبد السلام محمد الثقافي، المرجع السابق، ص ص 85-86
28- محمد الأول أبوبكر، المرجع السابق، ص ص 2-3
29- د. عثمان عبد السلام محمد الثقافي، المرجع السابق، ص ص 86-87